

## ترجمة: الدكتورة دلالة عباس

الحِرْص، من الرذائل الأخلاقية، مصدرٌ عربيٌّ، أحد معنَيَّه الأساسيين شدة الإرادة والشَّره إلى المطلوب (← ابن فارس؛ ابن منظور، دهخدا، المادة). حُمِلت لفظة الحِرْص في الأحاديث والنصوص الأخلاقية معنًى سلبياً، لكنَّها استُخدمت في القرآن أكثر بمعناها اللغويِّ نفسه (← تنمَّة المقالة).

1) في القرآن والتفاسير: وردت لفظة حرص خمس مرَّات في القرآن الكريم. في الآية 96 من سورة البقرة، ذُكر ميل اليهود الشديد إلى طول الحياة في الدنيا بعبارة (أَحْرَصَ الناس على حياة). إنَّ حرص اليهود هذا مرده إلى أنَّهم كانوا يعلمون أنَّهم بسبب كفرهم لن ينالوا سوى العذاب، وسيحرمون من النعم الإلهية (← الطبري؛ الطوسي، الآية). كما استُخدمت هذه اللفظة في عدَّة آيات للتعبير عن طلب النبيِّ الخير للناس، وعزمه على هدايتهم (← التوبة: 128؛ يوسف: 103؛ النحل: 37؛ الطوسي، شرح التوبة: 128، يوسف: 103؛ الفخر الرازي، شرح التوبة: 128، النحل: 37؛ القرطبي، شرح يوسف: 103، النحل: 37؛ أيضاً ← الداغاني، مج 1، ص 262). الآية 129 من سورة النساء تتضمن أيضاً المعنى اللغويِّ للحرص.

مرادف الحريص في القرآن الكريم "المهلوع" (← المعارج: 19). تقول الآية إنَّ الله عزَّ وجلَّ خلق الإنسان هلوغاً. شرح المفسِّرون هذه اللفظة بمعنى الحِرْص الشديد وقلة الصبر (← الطبري؛ الطوسي؛ القرطبي، شرح الآية). هذا المعنى على ما يبدو استناداً إلى الآيتين 20 و 21 من سورة المعارج "إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً" (لزيد من الاطلاع ← الطبري، الزمخشري، الطبرسي، الطباطبائي، شرح الآيتين).

يرى المفسِّرون أنَّ الله عزَّ وجلَّ وضع هذه الصفة في جبلَّة الإنسان ليستخدامها مستعينا بالعقل للوصول إلى الخير والحرص على الخير، والهروب من الشرِّ؛ لذا فإنَّ توبيخ الناس في الآيات 19 إلى 21 من سورة المعارج تدمِّم سوء تديبر بعض الناس في الاستفادة من هذه الصفة، وليس أصل الصفة التي خلقها الله عزَّ وجلَّ (لزيد من الاطلاع ← الآيتان 22-23 من المعارج، اللتان تستثنيان المصلين؛ الطوسي، الزمخشري، الفخر الرازي؛ الطباطبائي، شرح المعارج: 19).

2) في الأحاديث: ذُكرت مصاديق الحِرْص في الأحاديث، كما هي العادة، وحُمِلت لفظة الحِرْص معنًى إيجابياً أو سلبياً بحسب السياق. أمودج القسم الأوَّل الأحاديث التي توصي بالحرص على القيام بأفعال الخير (← ابن حنبل، مج 2، ص 366)، أو الحِرْص على فهم الدين (الفقه)، والجهاد في سبيل الله، وهما من سمات المؤمنين (← الكليني، مج 2، ص 231). في المقابل ورد ذمُّ الحِرْص على الدنيا وعلى المال والسلطة (← ابن حنبل، مج 2، ص 448، مج 3، ص 192).

على أساس الأحاديث، الحِرْصُ المذمومُ هو سعي الإنسان الدائم للحصول على ما هو أكثر من حاجته (← الكليني، مج 2، ص 130-131)، وهذا دليل في الواقع على عدم قناعته بالرزق الذي قدَّره الله له (← مصباح الشريعة، ص 117؛ البرقي، مج 1، ص 17؛ ابن بابويه، 1404هـ/1983م، مج 4، ص 393؛ لذا عدَّ ترك الحِرْص موجِّباً لزيادة رزق الإنسان (← ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 2، ص 505).

إنَّ أصل الحِرْص حبّ الدنيا وكذلك سوء الظنّ بالله (← نهج البلاغة، الرسالتان 49، 53؛ مصباح الشريعة، 139، الطبراني، مج 10، ص 163). والحِرْص والإيمان بالله لا يجتمعان (← ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 1، ص 83، متقي، مج 1، ص 50). وردت في الأحاديث أيضاً الإشارة إلى ماهية الحِرْص وصفات الحريص، من ذلك أنّ الحِرْص أمرٌ غير عقلائيّ (← ابن شعبة، ص 29) وآسرٌ لا يُخلى سبيل الحريص إلّا لحظة موته (← ابن حنبل، م.ن، ص.ن؛ الكليني، مج 2، ص 134). عدّ الإمام السجّاد عليه السلام الحِرْصَ أوّلَ إثم ارتكبه الإنسان (آدم وحواء) وهو أنّه أراد ما ليس بحاجة إليه (الكليني، مج 2، ص 130-131). وصف عليّ عليه السلام الحِرْص على الدنيا أدنى الدنيا (ابن بابويه، 1404هـ/1983م، مج 4، ص 382).

من ناحية أخرى، إنّ وجود عوامل داخلية وخارجية لحضّ الناس على الحِرْص، أوجب على المعصومين عليهم السلام أن يحذّروا أتباعهم من الحِرْص بتأكيدات مختلفة (على سبيل المثال ← ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 1، ص 124-125؛ السيوطي، مج 1، ص 451). وفي أدعيتهم أيضاً دعوا الله عزّ وجلّ أن يحفظهم ويحميهم من هذه الرذيلة (← علي بن الحسين عليه السلام، الدعاء 3). وقد نهوا أتباعهم لا سيّما الحكّام من مشورة الحريص، لأنّ الحِرْص غريزة تزين الشره بالجور (← نهج البلاغة، الرسالة 53؛ ابن بابويه، 1404هـ/1983م، مج 4، ص 409). على الرّغم من الذم الشديد للحِرْص على الدنيا، من تعاليم المعصومين عليهم السلام، أنّ كسب المال من الطرق الحلال، والاستغناء عن الآخرين من أرفع العبادات (← ابن بابويه، 1409هـ/1989م، ص 180-181).

في الأحاديث ذات الطابع الأخلاقيّ، ورد أنّ القناعة\* (← البرقي، مج 1، ص 197؛ ابن شعبة، ص 285)، وذكر الموت (← مصباح الشريعة، ص 171؛ ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 2، ص 39) يفضيان إلى لجم الحِرْص، وفي الأحاديث أيضاً مفاهيم متناقضة للحِرْص مثل التوكّل\* (← البرقي، م.ن، ص.ن) والزهد\* (← الكليني، مج 2، ص 129؛ ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 1، ص 79).

وردت في الأحاديث أيضاً الإشارة إلى الدور المؤثّر للحِرْص، وكذلك إلى نتائجه المضرّة، من ذلك أنّ الحِرْصَ والكبرَ والحسدَ ثلاثة مصادر من مصادر الكفر (← الكليني، مج 2، ص 289)، والحِرْص يؤدّي إلى الغفلة عن ذكر الله، وتلك أعظم المفاسد (← مصباح الشريعة، ص 107). وتُسْتتبع كذلك باليأس من رحمة الله (ابن شعبة، ص 8)، والسخط لرضاه (ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 1، ص 69). ينسى الحريص الآخرة (ابن بابويه، 1404هـ/1983م، م.ن، ص.ن؛ الحاكم النيسابوري، مج 4، ص 324) ويقع في شبك الآثام (الكليني، مج 8، ص 19)، ومنها الكذب والظلم وقطع الرحم والكسب الحرام (الطبراني، مج 22، ص 78؛ ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 1، ص 176). لذا، فإنّ الحريص يعرّض نفسه لغضب الله، وتالياً لعقابه الشديد الأبديّ (← مصباح الشريعة، ص 118)، ويجرم من النعم الأخروية (← الكليني، مج 2، ص 129؛ المتقي، م.ن، ص.ن).

من نتائج الحِرْص الأخرى الابتلاء بالفقر (← ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج 2، ص 505). فالحِرْص كما عبّر عنه الإمام عليّ عليه السلام هو الفقر الأكبر (← نفسه، 1402هـ/1982م، ص 244). لأنّ الحريص بحرصه يجرم نفسه من المعاش الذي قدره له الله عزّ وجلّ، وهذا هو الفقر بعينه. فضلاً عن أنّ الحِرْصَ بناءً على حديث رواه ابن بابويه (1404هـ/1984م، مج 1، ص 276-277) أحد خمس صفات تؤدّي إلى جمع المال الحرام ومراكمته.

في روايات أخرى، الحرص علامة الضعة (← مصباح الشريعة، ص122)، والشقاء (الكليبي، مج2، ص290)، وأيضاً جامع العيوب القبيحة (م.ن، مج8، ص19). وبحسب كلام الإمام الصادق عليه السلام، يحرم الحرص الإنسان من الراحة في الحياة (← ابن بابويه، 1403هـ/1983م، مج1، ص69)، لأن فكره وجسده في ألم دائم لقلقه من دون جدوى على مصيره الآتي، ولحزنه أيضاً على أمواله التي لم يُحصّلها بعد (← مصباح الشريعة، ص118).

في الروايات الأخلاقية، تُستخدم أحياناً ألفاظ ومصطلحات، معناها قريبٌ من معنى الحرص، أو يرى إلى مستلزماته ونتائجه، مثل الشُّحّ، والشَّرَه، والنَّهْمَة (← مَجِّج البلاغة، الرسالة 53؛ ابن بابويه، 1403هـ/1983م، ص53، 176؛ نفسه، 1402هـ/1982م، ص244)، وعبارات "طَلَبُ الدنيا" و"جمع المال" و"طول الأمل" (← ابن بابويه، 1409هـ/1989م، ص180؛ نفسه، 1404هـ/1984م، مج2، ص39؛ نفسه، 1404هـ/1983م، مج1، ص15، 51). مع ذلك ذُكرت في بعض الروايات مصطلحات في معرض الكلام على الحرص، كرزائل مستقلة، منها الأمانى البعيدة والطويلة الأمد المرافقة للحرص، التي وُصفت أنّها من نتائج حبّ الدنيا (← الطبراني، مج10، ص163، أيضاً ← ابن بابويه، 1404هـ/1984م، مج1، ص276-277). تدلّ بعض الروايات كذلك على معنى الحرص، من دون أن تستخدم لفظة الحرص أو ما يراد منها (من ذلك ← ابن حنبل، مج3، ص122).

3) في الأخلاق والعرفان: في الكتب الأخلاقية جعل الحرص مقابل القناعة (← النراقبي، مج1، ص105؛ الغزالي، إحياء علوم الدين، مج3، ص231). وعُرف تعريفاً قريباً من التعريف الموجود في الأحاديث. وصف النراقبي (المتوفى سنة 1209هـ/1795م؛ مج2، ص102) الحرصَ أنّه حالة نفسية، تدفع الإنسان إلى جمع أموال تفوق حاجته من دون أن يكتفي بحدّ معين. لذا بحسب مسكويه (المتوفى سنة 421هـ؛ ص44) ترك الحرص في كسب الحلال، هو بحدّ ذاته أحد الفضائل الأخلاقية.

عدّ الراغب الإصفهاني (المتوفى سنة 502هـ، ص377)، أنّ مصدر الحرص الفقر والخوف من الفقر، أمّا الغزالي (المتوفى سنة 505هـ) في إحياء علوم الدين (م.ن، ص.ن)، فقد أيد هذا الرأي وتطرّق إلى إتمامه، وما يؤدّي إلى وقوع الإنسان في حبال الحرص: عدم قناعة الفقير، وكذلك تعلق الإنسان بالأمال البعيدة والعريضة (← نفسه، منهاج العابدين، ص70-71). النراقبي أيضاً (مج1، ص105، مج2، ص102) عدّ الحرصَ من نتائج قوّة الشهوة ومستلزماتها، وأقوى مظهر من مظاهر حبّ الدنيا، وأشهر تجليات هذا الحبّ.

تطرّق علماء الأخلاق أيضاً إلى توضيح آثار الحرص. يعتقد الغزالي (إحياء علوم الدين، م.ن، ص.ن)، أنّ الإنسان الذي لا يملك شيئاً وفي الوقت عينه، يفتقد إلى القناعة، من الممكن أن يبتلي بالحرص. والحرص يؤدّي به إلى الطمع، أو السعي لكسب أسباب المعاش بمختلف الطرق. ويرى (إحياء علوم الدين، مج3، ص238)، أنّ مثل هذا الشخص ستسوء أخلاقه، وسيرتكب أنواع الموبقات (للاطلاع على هذه المنكرات ← مسكويه، م.ن، ص.ن).

يعتقد الغزالي (منهاج العابدين، ص71)، أنّ أقلّ أضرار الحرص أن ينشغل الإنسان بأمور تضيع عمره ووقته.

في المصادر الأخلاقية، ذُكرت مجموعة من النصائح العملية والنظرية، مداواة الحرص. كالوسطية في المعيشة، والاعتدال في الإنفاق، وتجنب القلق غير المحدي بالنسبة إلى المستقبل، التفكير بفضيلة القناعة، وقبح الحرص والطمع وغيرهما (← الغزالي، إحياء علوم الدين، مج 3، ص 241-243؛ النراقي، مج 2، ص 106-107).

استُخدمت في كتب العرفان والتصوف ألفاظٌ مختلفة لشرح مفهوم الحرص. فالخارث المحاسبي مثلاً (المتوفى سنة 243هـ، 1425هـ/2005م، ص 57)، في أثناء ذكره أموراً حول القناعة والتواضع، وضح المفاهيم المضادة أي المكاثرة والكبر، وهو يقول إن الإسراف في الأكل يؤدي إلى "الشَّره والرَّغبة" (← 1409هـ/1989م، ص 112؛ أيضاً ← نوي<sup>(1)</sup>، ص 239، 248). ذكر النجم الرازي (المتوفى سنة 654هـ، ص 504) مستلهماً آية "... شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا..." (الفتح: 11)، من آفات المال والجاه "الاشتغال" بجمعه وحفظه وصرفه في الأمور واللذات الدنيوية، التي يمكن عدّها مطابقة لمفهوم الحرص. فسّر القشيري (ص 161) أيضاً المراد من كلمة "الجحيم" في آية "وإنَّ الْفُجَارَ لَفِي جحيم" (الانفطار: 14) بالحرص على الدنيا.

يعتقد ابن عربي (المتوفى سنة 638هـ، مج 2، ص 198)، أن الحرص بمعناه الإيجابي من المقامات (وليس الحالات العرفانية، وتالياً هو مرافق للإنسان باستمرار. لقد أخذ في الحسبان (مج 2، ص 198-199)، مستخدماً الآيات والأحاديث الجانبين الحمود والمذموم للحرص، ووصف الجانب الحمود منه أنه من صفات "العالم الوارث الكامل"، قائد الأمة، الذي يهتم باستمرار بصلاحها.

في النصوص العرفانية، لم يرد غالباً تعريف صريح للحرص، وإنما تؤكد العبارات الواردة فيها أكثر على النهي عنه. فضلاً عن ذلك، من اليسير تطبيق المراد من هذه العبارات على الحرص انطلاقاً من الخلفية الفكرية النابعة من تعريفه الوارد في النصوص الأخلاقية. فالخارث المحاسبي مثلاً (1384هـ/1964م، م.ن، ص.ن) قال نقلًا عن بعض الصحابة إن أسوأ الناس من أخذ من الدنيا أكثر من حاجته (أيضاً ← نفسه، 1409هـ/1988م، ص 106، 132، 161). النجم الرازي (م.ن، ص.ن) أيضاً في تعريفه "الاشتغال" قال: إن تضييع العمر هو في جمع المال وحفظه وصرفه وانفاقه في الحصول على المرادات الدنيوية واللذات النفسانية والمتع الحيوانية، وقوله هذا يمكن مطابقته على تعريف الحرص الوارد في المصادر الأخلاقية.

**المصادر والمراجع:** فضلاً عن القرآن الكريم؛ ابن بابويه، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، قم، 1368ش [1989]؛ نفسه، عيون أخبار الرضا، ط. مهدي اللاحوردي، قم 1363ش [1984م]؛ نفسه، كتاب الخصال، ط. علي أكبر الغفاري، قم 1362ش [1983م]؛ نفسه، كتاب من لا يحضره الفقيه، ط. علي أكبر الغفاري، قم 1404هـ/1984م؛ نفسه، معاني الأخبار، ط. علي أكبر الغفاري، قم 1361ش [1982م]؛ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، بيروت: دار صادر، [لاتا.]. ابن شعبة، تحف العقول عن آل الرسول صلى الله عليهم، ط. علي أكبر الغفاري، قم 1363ش [1984م]؛ ابن عربي، الفتوحات المكية، بيروت: دار صادر، [لاتا.]. ابن فارس؛ ابن منظور؛ أحمد بن محمد البرقي، كتاب المحاسن، ط. جلال الدين المحدث الأرموي، قم [1331ش [1952م]]؛ الخارث

<sup>(1)</sup>Paul Nwyia.

المحاسبي، رسالة المسترشدين، ط. عبد الفتاح أبو غده، القاهرة 1409هـ/1989م؛ نفسه، الوصايا، ط. عبد القادر أحمد عطا [القاهرة 1384هـ/1965م]؛ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، المستدرک علی الصحیحین، ط. يوسف عبد الرحمن المرعشلي، بيروت 1406هـ/1986م؛ حسين بن محمد الدامغاني، الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، ط. محمد حسن أبو العزم الزبيدي، القاهرة 1416-1421هـ/1996-2001م؛ دهخدا؛ الحسين بن محمد الراغب الإصفهاني، كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة، ط. أبي زيد العجمي، القاهرة [1407هـ/1987م]، ط. أوفست قم 1373ش [1994م]؛ الزمخشري؛ عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، بيروت 1401هـ/1981م؛ الطباطبائي؛ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، ط. حميد عبد المجيد سلفي، ط. أوفست بيروت 1404هـ-140هـ/1984-؟؛ الطبرسي؛ الطبري، الجامع؛ الطوسي؛ علي بن أبي طالب (ع)، الإمام الأول، نهج البلاغة، ط. صبحي الصالح، بيروت 1387هـ/1968م، ط. أوفست قم [لاتا.]. علي بن الحسين (ع)، الإمام الرابع، الصحيفة السجادية، ط. محمد جواد الحسيني الجلالي، قم، 1380ش [2001م]؛ محمد بن محمد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت: دار الندوة الجديدة، [لاتا.]. نفسه، منهاج العابدین، بيروت 1409هـ/1989م؛ محمد بن عمر الفخر الرازي، التفسير الكبير، أو مفاتيح الغيب، بيروت 1421هـ/2001م، محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مج 5، ج 6 و 9 و 10، القاهرة 1387هـ/1967م، مج 9، ج 18، بيروت 1385هـ/1966م، ط. أوفست طهران 1364ش [1985م]؛ عبد الكريم بن هوازن القشيري، الرسالة القشيرية، ط. معروف زريق وعلي عبد المجيد البلطجي، بيروت 1408هـ/1988م؛ الكليني؛ علي بن حسام الدين المتقي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط. بكري الحياتي وصفوة السقا، بيروت 1409هـ/1989م؛ أحمد بن محمد مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، ط. حسن تميم، بيروت [1398هـ/1978م]، ط. أوفست قم 1410هـ/1990م؛ مصباح الشريعة، [المنسوب إلى] الإمام جعفر الصادق (ع)، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، 1400هـ/1980م؛ عبد الله بن محمد النجم الرازي، مرصاد العباد، ط. محمد أمين الرياحي، طهران 1365ش [1986م]؛ محمد مهدي بن أبي ذر النراقي، جامع السعادات، ط. محمد كلاتنر، النجف 1387هـ/1968م، ط. أوفست بيروت [لاتا.]. بول نوياء، التفسير القرآني واللغة العرفانية، ترجمة بالفارسية إسماعيل سعادت، طهران 1373ش [1994م].

/أحمد زرنكار وأبو الفضل والازاده/